

# الخليج

ثقافة, قراءات في كتب

24 يوليو 2021 23:25 مساء

## حياة الحضارات في التفاعل الثقافي





الثقافة مجال من مجالات التقليد والأخذ، ذلك أن ثقافة أي شعب إنما هي أمر متوارث على مر العصور، صالح للتبديل والتحويل، قدر ما يتغير العرف والفكر، فإذا عرض لثقافة من الثقافات من المؤثرات ما هو صالح لأن يبدلها أو يعدلها، فإن ذلك بمثابة دليل حيوية ومرونة، لا دليل ركود. وقد قامت دلائل على تأثر الإغريق بالمصريين، وعلى تأثر الرومان بالإغريق، ثم على تأثير كل أولئك في العرب، ثم على أخذ الثقافة الأوروبية عن كل هذه الأمم، ومن بينها وأشدّها تأثيراً العرب.

يؤكد د. تمام حسان في صدر ترجمته لكتاب ديلاسي أوليري «الفكر العربي ومكانه في التاريخ» أن بعض الكتاب من المستشرقين، يحلو لهم أن يتلمسوا في الثقافات الشرقية، أموراً يردونها إلى الفكر الإغريقي أو الروماني، ويتزيّدون في ذلك، حتى يوحوا إلى القارئ بفاعلية الغرب، وانفعالية الشرق، ويدفعوه إلى الاعتقاد بتفوق الذهن الغربي، وتواكل العقل الشرقي وهم في سبيل الوصول إلى هذه الغاية، يسوقون الكثير من المغالطات

صاحب هذا الكتاب من غلاة المستشرقين الذين يتلمسون في ثقافة العرب ما يرجون أن يردوه إلى ثقافة الإغريق أو الرومان، لكنه ينصف الفكر العربي حين يشرح الطريقة التي وصلت بها أفكار العرب إلى أوروبا الحديثة، وإن كان يغالي في موقف الأوروبيين في عصر النهضة من تعاليم الثقافة العربية، ويصورهم في صورة النقاد الذين يحجمون قصداً عن الأخذ ببعض فروع هذه الثقافة، لكنهم لم يكونوا نقاداً بقدر ما كانوا تلاميذ، يفعل ذلك مثلاً حين يتكلم عن سقوط الطب العربي في نظر الأوروبيين، لكنه مع ذلك لا يستطيع أن ينكر أن الجامعات الأوروبية، كانت تدرس هذا الطب، باعتباره جزءاً من مناهجها

يتتبع التاريخ تطور البنية الاجتماعية التي يوجد المجتمع اليوم فيها، وأهم عامل في تطور البنية الاجتماعية هو تناقل الثقافة، وهو ليس أمراً من أمور الوراثة، لكنه يعود إلى الاتصال؛ لأن الثقافة تتعلم وتُستفاد بالتقليد، لكنها لا تورث، الثقافة هنا (كما يوضح المؤلف) تشمل النظم السياسية والاجتماعية والتشريعية، كما تشمل الفنون والحرف والدين،

والأشكال المختلفة للحياة العقلية التي تظهر في الأدب والفلسفة والميادين الأخرى.

يعرض الكتاب لنشأة الحضارة العربية الإسلامية، والظروف التي اكتنفت تكوينها وجذورها، والمؤثرات التي عملت على تشكيل مسارها، ويعرض لمقدماتها في مرحلة نقل السريانيين للفلسفة الهلينية، ثم نقل تلك الكتب إلى العربية، ونشأة الحركات الفكرية والفلسفية، والتفاعل بين تياراتها المختلفة، تلك التي تأثرت بالثقافة الوافدة والنزعة العقلانية التي سادت في العصور الأولى، وتلك التي نزعت إلى الحفاظ على الموروث، وما يزيده أهمية تلك الهوامش والتعليقات والردود التي أضافتها الطبعة العربية التي تجعل من الكتاب ساحة للمناقشة الفكرية، التي تُثري فهمنا لحضارتنا العربية الإسلامية العريقة.

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.